وراء الحجرات



كريم العقبي

رواية

وراء الحجرات

تأليف

كريم العقبي

مؤسسة يسطرون للطباعة والنشر والتوزيع



رئيس مجلس الإدارة

عماد سالم

المدير العام

أحمد فؤاد الهادي

الطبعة: الأولى

رواية : وراء الحجرات

المؤلف: كريم العقبي

التصميم والإخراج: حسن عبد الحليم

المقاس: ١٤ × ٢٠

رقم الإيداع: ٠٠٠٠٠ / ٢٠٢٢

الترقيم الدولى: 0 - 00 - - 977 - 978

العنوان : ٣ش صفوت - محطة المطبعة شارع الملك فيصل - الجيزة

التليفون : ٠١٢٢٩٣٠٠٠٢٩ - ٠١١٥٧٧٦٠٠٥٢

Email : Yastoron@gmail.com

موقعنا على الفيس بوك : مؤسسة يسطرون لطباعة وتوزيع الكتب



الإهداء

إليك! يا من اعتبرتك كنفسي وذاتي...

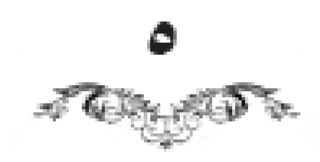
أقول لك: أنت كألف رجل فلا تتبعي خطواتي، وواظبي على هجرك لمسارح اللهو ومنابر اللذات... ولتمضي حياتك دونما انقطاع لمودة بينك وبين أهلك الأقربين وأصدقاءك المخلصين الذين أنت منهم دائما وأبدا بمنزلة نور العين....

إليك أرسل جميل السلام والتحيات... عرفانا بدوام الوصال حتى الممات...

كريم العقبي

عود على بدء

بمجرد سماعي أن هناك النعيم المقيم في دار القرار حيث إن رغباتك أوامر دونما أي تصيد للأخطاء، وبما أن فرصة اللعب للنادي الأهلي المصري غير متوفرة لعدة أسباب، فقد وقع اختياري على طلب يتيم وهو مشاهدة مبارياته في أعالي الفردوس إذا ما صرت يوما من أهله، إلا أن الأهلي جاء على أرض الواقع ليحقق أحد أحلامي البسيطة وأنشأ معرضا للكتاب تحت رعاية وزارة الثقافة، ومن هنا ولأن هناك كتابا قمت بتأليفه اسمه



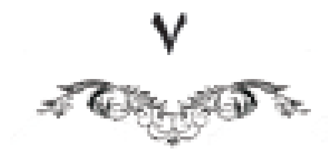
«كارجو» والذي هو باكورة أعمالي التي تهدف لإحداث طفرة تربط فصوص مخي بعضها ببعض كأمل منشود فيه مداواة بالمثابرة من الوبال الذي منه الداء، وذلك من خلال فن الرواية السردي والتي عبرت فيها عن نفسي وخرجت فيها عن شعوري بكل المقاييس ولكن تحت مسمى الاستحياء الشديد بعيدا عن أعين النقاد الذين يكشرون عن أنيابهم مع كل عمل جديد، فإنه لطالما كان وسيظل دوما رد الفعل السائد المعتاد لمعظم من طالعوا هذه الرواية هو التساؤل عن المغزى الذي قد يستشفه القارئ من الخط الدرامي أو حتى الكلمات المفتاحية لمثل هكذا رويات....

وأقول: إنما الفرق بين العبقرية والجنون هو نفسه كما الفارق بين الإشراقة الصوفية ونوبات الهلوسة، فهناك بون شاسع بين اللحظة التي يبدأ فيها اتضاح الخيوط الأولى لكلية الشواهد وشمولية البراهين وما قد يظنه الإنسان تمام الإدراك اللدني لقدس الأقداس المتأصل في

الملكوت الدنيوي والأخروي كيقين راسخ واعتقاد جازم وإن كان بدوره وفي الأصل ليس بالأمر المفروغ منه...

فدونما همس أو طرب اسمح لي يا قارئي أن أستفيض معك مستحثا لقريحتي الأدبية واللغوية بأن أبين لك وذلك بلا اختزال بل باستطراد على قدر الإمكان موضع الطمس والخلل الذي ما أنزل الله به من سلطان ولا حجة ولا برهان، ولكنه قد يذهب بالعقول، ويستأثرها بحدس مبدد ووعي متطاير، وذلك لأنني أعلم أنك تعتبرني كدارس للسياسة التي هي فن الممكن مولعا بمبدأ أن الشيء بالشيء يذكر بما فيه من إثراء للفكر لا ينتهي....

ففي الغالب الأعم يتردد دوما ما هو معروف حولي تمام المعرفة بأن دائي العضال والذي على كل حال لا يتكرر في حياة الآخرين إلا فيما ندر له مكمن هو النكوص الذي يجعل التأويل المعياري للقيم لدي رغم صرامته غير حميد بما قد يخدش حياء الأكثرية عددا والأغلبية قيمة ويثير حفيظتهم وذلك على قدم المساواة رغم ما



أتوخاه من سلامة القصد ومعالجة النية بما يعيد للأذهان فكرة أنه مكره أخاك لا بطل، فما باليد حيلة، فالخير من الله والشر من أنفسنا... فبينما اعتبر أن أي انتقاص من روايتي «كارجو» فيه مساس بحقوقي الأصلية ككاتب رغم كونها أحوج ما تكون لاستدراك وذلك عبر هذه الرواية التي بين يديك والتي اعتبرها حقا مكتسبا قد يصبح هو والعدم سواء مثله مثل أي مآرب أخرى أعوزها فكان مصيرها ككحل انسرق من العين، أو كما يطرق على حديد التسليح وهو ساخن حتى لو تحول بين يديك لحمم بركانية أثناء تشغيله كمعدن، وذلك ليس من مبدأ التبذير أو إغفال مجهودي كمؤلف، فليس من المعقول أن كاتبا سيستمر في نشر بضاعته دونما غرض للتربح، فـمن سخرية القدر أن النسخة الوحيدة من الرواية والتي كنت سأحصل بسببها على مقابل مادي كبوق للنظام أصبحت بين عشية وضحاها حبيسة رف العرض في أحد الكافيهات الشهيرة بالبلدة...

فبينما بالضد تتميز الأشياء، فكم تحينت العيش في عالم نمطي من المشاعر المثالية دونما أي افتئات أو اختلاق للأعذار من شأنه أن يعيق تقدمي للحاق بالركب وكأنه مسمار جحا أو قميص عثمان مما يحول بيني وبين بغيتي، ولكنني أضحيت كجثة هامدة تم تثبيتها على شيزلونج الطبيب النفسي بالوضع التشريحي النموذجي المعهود... فمثلا شخص مثل شوقي رشاد أحد أبطال رواياتي «كارجو» تحدث عما اعتراه من ضلالات الفصام ولكنه كأنه شخصية غير ذات بعد بؤري في دخيلة نفسي، إذ أنه مجرد حديقة خلفية ألقيت فيها مثالب القلب القائم بعناء بين أضلعي... وهكذا دواليك مع كل الشخصيات الأخرى في الرواية السابق ذكرها، فلقد قمت فيها أيضا بسرد أن البعض ابتدرني حينما تم ترشيحي لكلية الطب بكلمات منها: «أنت لست مؤهلا للتعليم، أو هل تظن نفسك أول من التحق بالطب يا هذا؟»، وحينما عاتبت أصحاب تلك الكلمات - رغم أنهم لا يفرقون معي

ـ وذلك عملا بالرمزية في قوله تعالى: «فبئس مثوى المتكبرين» قالوا: «لا تأخذ الكلام على عواهنه وتحسبه كمعول هدم، فإنما كنا نلقيه على مسامعك من أجل الدفع بك لتحقيق ذاتك والتشجيع»، وها أنا هنا سأتحدث بما قد يشفي غليلي كشخص كان يربأ بنفسه عن الخوض في القيل والقال، ولكن بما إنه وقد تم اعتباره وذلك بعد استنفاد مرات رسوبه في إحدى كليات القمة بمصر بأنه طرد شر طردة من الجنة الموعودة للمسميات الوظيفية وأضحى لسان حال من حوله من الآن فصاعدا الاستبشار بالملمة التي حلت به ومن ثم تناوله بأقذع الألفاظ وأحط العبارات بما فيه دحض للخلد المحض وسحب للبساط من بين أقدامه، ولكنه حيف بلا طيف، فها هو مازال لديه الكثير ليقوله إذ لم ينفد ما في دواته من مداد ولا ما في جعبته من سهام، فمن قال بأنه درجت العادة على أن دخول الطب شيء عارض؟!

وأرجو مرة أخرى يا قارئي أن تتقبل استرسالي في

حديثي إليك ظنا مني بأنني قد أبيت ذات يوم مسربلا بحمية الثراء والمجد كمعين لا ينضب بما يستوجب مزيد الثناء والحمد...

***

أليس من الجدير بالذكر أن نبين أن العقاد ذكر بكل رصانة في كتابه «إبليس» أن فكرة الشيطان كانت فاتحة خير على الإنسان؟ إذ تبين من خلاله الفرق بين الظلمات والنور والتقوى والفجور، ثم جاءت رواية «عزازيل» لتتحدث بأنما الشيطان هو من الإنسان وفيه، وهنا نلحظ أنه على ظهر البسيطة يطغى الشيطان بلا هوادة ازديادا في الحضور... فهو تمثل في كل شيء حتى فكرة الخلود رغم أنها كانت تحصيل حاصل، فآدم كان في الجنة بطبيعة الحال إلا أن إبليس دخل إليه مستقلا جوف الحية ليلقى إليه بوسوسة انقلب بسببها هيكل الحياة والممات رأسا على عقب، وتحت ذلك البند استشرى في العالم منظمات وتجمعات ومحافل تنحت في الصخر مناشدة بأن نجوى



الشيطان قد يكون فيها من جميل الصفح عن الهفوات.. لكن هيهات، وكأن كل ما في الأمر هو التربص بالآخر بما يجعل العالم يغذ الخطى مسرنما في الهنات....

***

نعم -إي وربي - يا شوقي رشاد يا صديقي الصدوق، أنت بالفعل آمنت بكونك الماسون رغم ضبابية المشهد أمامك، ولذلك تحدثت عما بداخلك من جذوات التدين والصلاح التي تجعلك تتبع سياسة النأي بالذات أن تصير موسوما بالماسونية، لكن من قال لك أن الماسونيين لا يعتبرون أنفسهم متدينين؟ عموما، لا عليك، فلقد ذكرت بأنني كتبت رواية كارجو في سورة من سورات الغضب المتلاحق؛ أي أنني كنت تحت تأثير العقل المنفعل، وها أنا أكتب هذه الرواية تحت تأثير العقل الفعال، وهما من مراتب العقل المتغايرة التي كثيرا ما تحدث عنها الفلاسفة... فأنا لا أتعامل مع ما أعانيه من عقلية ذهانية

كما تعامل معها كليفورد بيرز الذي كان نزيلا في إحدى المصحات النفسية ثم خرج منها بكتابه الذي أصبح نبراسا لحركات الصحة النفسية في العالم وهو معنون بـ«العقل الذي وجد نفسه»، فبينما هو يعتبر العقل كتلة مصمتة فإن العقل يتمايز عندي بأنه مزيج هلامي من فقدان البوصلة عملا بقول الشاعر العربى: «نسي الطين ساعة أنه طين حقير فصال تيها وعربد»، أو قول الشاعر الأعجمي أصلا السكندري روحا والملقب بكفافيس: «أصوات خفية حبيبة، أصوات أولئك الذين ماتوا، أو أولئك الذين بالنسبة إلينا ضائعون مثل الموتى، تتكلم في أحلامنا أحيانا، وأحيانا في الفكر يسمعها العقل، ومع أصدائها تعود برهة أصوات من قصائد حياتنا الأولى، مثل موسيقى بعيدة في جنح الليل تخبو»...

ولقد تلقى ذلك العقل كفايته من التشجيع والحفاوة وحان له عن طواعية واختيار أن يفسح المجال لذلك

الشخص الذي وقع أسيرا تحت وطأة الإلهام بالفجور رغم ما في صبغته من رواسب التقوى والرغبة في الفلاح... فليبدأ وذلك على رسله في الحكي والسرد....

***

إنني أنا مندور أبو هيبة الشخصية الناقصة من رواية كارجو وهنا سيقوم كريم بإفراد رواية خاصة بـي وحدي، ليس لأهميتي بالطبع ولكن لأنه – كما يعلم القاصي والداني – يتردد بين صفحات الكتب بأن كل الأشياء مثل كل الأشياء لا يمتاز منها شيء إلا بما نضفيه عليه من وهم وظن واعتقاد، ولقد اعتبر كارجو رواية مستوفية الشروط والأحكام بذريعة أنها العمل الأول ليس إلا، بما في ذلك مجيئها متلفعة بأخطاء إملائية بالجملة، فقد ورد في كتاب «مناقب الشافعي» للبيهقي ما يلي وهو أن أحدهم قرأ كتاب الرسالة المصرية على الشافعي نيفا وثلاثين مرة، فما من مرة إلا كان يصححه ثم قال الشافعي

في آخره: أبى الله أن يكون كتاب صحيح غير كتابه، وها هو كريم سيخوض في تجربة قد يعدها البعض محرمة من شخص مستطار بنشوة الكتابة وهو منها في حالة كأنه تحت تأثير كرة الثلج من استقطار البهجة الغير متوقعة إذا ابتغينا الدقة، والتي هي في ذات الوقت مطلوبة وإن كانت لا تأتي بجديد بما يدعو للأسف... وإليكم الدليل...

فها أنا ذا مندور أبو هيبة الحاصل على دبلوم المعلمين، والشاعر الناطق بالعامية والفصحى والمجيد لعدة لغات أوروبية كالإنجليزية والفرنسية والإيطالية بما يؤهلني للعمل كخريت في الإرشاد السياحي وإن كان بصورة غير رسمية، كما إنني ملم ببعض الأشعار اللاتينية على رأسها ملحمة كارمينا بورانا المضمخة بالرثاء والحداد لعهود الضياع والشتات، إنني هنا سأكتب كطير ولد ميتا على مذابح ما قد يعتري شهوة الفضول من تطلع وجموح...

يا كريم! لماذا وقع اختيارك علي لتحكي عني؟ أما كفاك ما تسرب من قدرة على المواصلة إلى خارج الروح؟ كيف البداية؟ ومتى قد يحين أوان النهاية؟ الرحمة يا إلهي! أستعيذ بك ليغرب عن وجهي نذير الشؤم ذاك المارد اللعين أبراكساس الذي تجسد لشوقي رشاد في نوبة فصام ولكنه يستمر في التجسد إلي الآن وفيما بعد لأنني قمت باستدعاءه من قمقمه بتعويذة الهول الأليم والتي قمت بترتيب عناصرها كمصفوفة عنقودية التشابك حينما وقع بصري خلسة على رق معروض من كتاب «شمس المعارف الكبرى» في متحف المخطوطات بمكتبة الإسكندرية رغم التحذيرات المتكررة من أمينة المتحف حسناء الملامح والهندام والتي تستحق عقد من أصداف البحر كحورية من حوريات معبد أسطوري، وذلك كتجربة أداء فيها ظن مني أنني قد أصير كسلطان العاشقين «ابن الفارض»، وهو القائل في استهلاله لإحدى القصائد: «قلبي يحدثني بأنك متلفي»... فبينما

كان أبراكساس يترنح منهكا في حلقة مفرغة وإن كانت لا ترقى لمستوى دائرة الصراع مع شوقي رشاد وكأنه أحد النفر من الجن الذين عجبوا عند استماعهم لقرآن الله، إلا أنه منهمك معي بكل ضراوة بحديث للنفس شديد اللهجة فيه مجانبة للصواب بمشية غير منتظمة مما يسفر عن الخروج عن النص، فأنا لا أستطيع التقاط الأنفاس بإتمام تصفيده أو حتى مجرد جعله يرسف في أغلاله....

***

ولأن الماضي بالنسبة إلي لن يصبح أبدا في حكم الملغى أو خارج التصنيف أعود بالذاكرة لذلك اليوم حيث كنت مستغرقا في النوم، فانزاح عني ذلك الحاجر بين النوم والصحو... أدركت تمام الإدراك أن الصوت الداخل إلى أذني هو صوت حقيقي، بينما عقلي يرفض ذلك ويعتبره جزء من حلم، ولكني استيقظت فجأة لأن ذلك الشخص الذي ميزت صوته وهو ينادي علي يحتل أعلى مرتبة في حجرات قلبي لأنه حقق المعادلة الصعبة

بأن صرت معتدا بإقدام وبكل جوارحي بالحديث النبوي الشريف الذي يقول: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب»...

كان ذلك الشخص هو أحد الأصدقاء، وحينها قام بدعوتي للقاء وعظي بين الإخوة السائرين على درب السلف، ولقد كان اللقاء هناك عند الباحة الرملية بجوار ضريح مولانا ابن أصيل القيرواني، ورغم العداء التاريخي بين السلفية والصوفية إلا أن الأخوة لم يجدوا مكانا يسعهم سوى عند أحد الأضرحة، وحين الوصول إلى تلك البقعة التي يؤمن الجالسون فيها بأن الملائكة تحفهم رأينا مروحية محلقة فوقنا، ظن الجميع أنها طائرة استطلاع كتلك التي يشاهدونها في نشرات الأخبار باحثة عن مقاتلي طالبان المتشابهين في الهيئة واللباس مع كثير من أبناء الدعوة، لكنني كنت أعلم جيدا أنها طائرة تحت تصرف شركة البترول المقامة حديثا على أرض مدينتي

إدكو التي يطلق عليها دوما مدينة النجوم أو المدينة الراقدة في ظلال النخيل...

ومع دنو الختام وقبل ترديد دعاء كفارة المجلس قمنا بإخراج ما أحضرناه من طعام ضمن وسائل الإعاشة وبدأنا في التناول بعد تسمية الله وفجأة كما أتينا هنا اتفقنا على اللقيا هناك في الإسكندرية، ومن ثم عدنا كل من حيث جاء شاكرين المولي ـ سبحانه – الذي يضاعف لمن يشاء على حظنا السعيد في مثل هكذا جلسة تداولنا فيها أحكام الدين في شئون وأحوال أهل ديار الإسلام رغم إيماني ساعتها والذي لا يخضع لأي تفسير بأن كريم الذي مكث بيننا والذي دعاني إلى تلك الجلسة سيصبح يوما من أهل الأحوال الخاصة بما لا يدع أي مجال للشك ولا ظنية للدلالة، فهو أمر قطعي الثبوت بتقرير أميري للصحة النفسية رغم استقرار حالته... وكيف لا وهو يشرع بكتابة رواية كتلك التي بين أيديكم الآن؟!

فهو وحينما شارفت المرحلة الثانوية على النهاية



تمهيدا لوضع أول خطوة له على أعتاب كلية الطب أخذ يمني نفسه مستطلعا بمنظور عين أحد الطيور المهاجرة - والذي قد يكون من المنهي عنه أكله رغم ما هو معروف بأنه ما طار طير وارتفع إلا كما طار وقع، وهذا ما حل بكريم وهو بعض مما عندكم - كيف ستمضي الكتابة وهي هوايته المفضلة في بلورة وتشكيل قادم أوقاته، فاكتشف بعد نشر كارجو أنه يكتب أولا وأخيرا وعن طيب خاطر للاستخدام الشخصي وإن لم يحظ بربح، وذلك كأنه بائع للزهور؛ إن فاته الرزق لم يفته طيب الرائحة...

***

وصلنا إلى الإسكندرية، وكان الاتفاق على التجمع في ذلك المعلم الأثري البديع الباقي كتذكار من العصر المملوكي وهو قلعة قايتباي التي شيدت في الموقع الخالد الذي كانت تقوم فيه شامخة منارة الإسكندرية إحدى عجائب الدنيا السبع، وبعدما اكتمل عددنا كجمع كريم والذي لا يرقى لأن ينعت بالجمع الغفير انطلق بنا القيم

المسئول عنا في جولة وكأنها جولة تفقدية في أرجاء ثكنة عسكرية مازالت في الخدمة، ولكنني وكريم قررنا التنحي جانبا والافتراق عن المجموعة، وبدأنا في جولة متلازمين على وجه الخصوص نظرا لما فطرنا عليه من نزوع للتأمل، وهنا تناهى إلى مسامعنا صوت ضحكة مجلجلة آتية من صحن القلعة العلوي الذي به كوة يمكن منها كشف الداخل من الباب الرئيسي للحصن، ولقد كانت آتية من سائحة إفريقية يحاول رفيقها حملها محتضنا إياها ليرفعها إلى حافة سور الكوة، وحينها وجدنا القيم وباقي المجموعة أمامنا، وسألنا القيم: «ما اعتقادكم لو كان القائم بهذا الفعل مصري الجنسية؟» فلم يجبه أحد منا، ولكنه لم يلق باللائمة على أحد في عدم الجواب، فعاد إلى حديثه الذي كان يلقيه على المجموعة، ثم وبصورة فجائية قال وكأنه يحدث نفسه: «كانوا ليحتجزوا ذلك المصري بتهمة الفعل الفاضح والإخلال بالآداب العامة»، وربما هو لا يحنق على السلطة بقدر ما هو

يتميز غيظا من عدم استحياء السائحين من هكذا فعلة على الملأ، ولكنني رأيت في ذلك المشهد ذوقا رفيعا من الحس الرومانسي لذلك السائح، ومن هنا وضعت اللبنة الأولى في بنيتي كشاعر...

استكملنا جولتنا، وحين صعدنا إلى السور الصخري المحيط بالقلعة وجدنا جوقة من السياح ذوي الملامح الأوربية، فانبرى أحدنا قاصدا إياهم في إلقاء خطبة عصماء بلسان عربي مبين عن صحة نبوءة الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعن معجزته القرآن الكريم، لكن هذه الجوقة انفضت، ليس نفورا من معنى الكلام، فهم بالطبع لا يستسيغونه على الإطلاق ولو بجملة واحدة لأنه بغير لغتهم، ولكن نفورا من ذلك الصوت الجهوري الذي هبط عليهم بوقع حاد من حيث لا يدرون، إلا أن أحد السياح استمر في الإنصات حتى أعياه الإصغاء فسأل المرشد المرافق لهم عن فحوى الموضوع، وحين أخبره بالمقصود، قال السائح: «إننا من إسبانيا ونعتز بعصر

المجد التليد الذي قضاه العرب المسلمون على أرضنا، ولكن مسلمي اليوم لا يمتون بثمة صلة لأولئك الرواد الأوائل الذين رحلوا بلا رجعة»... فقلت بيني وبين نفسي: «إن ما يهم الناس في الوقت الحالي ليس رجوع مجدهم القديم بل تهيئة الأوضاع لرجوع الشيخ إلى صباه، وإن كان البعض يسعى لإيجاد مخرج ولو على أسنة الرماح ليس كجهاد طلب بل كجهاد دفع معتبرين أنفسهم رجال قلما يجود الزمان بمثلهم، ولله الامر من قبل ومن بعد»...

كل ما فات كان في وقت الزوال، ومن ثم اتجهنا للوضوء في مرحاض القلعة وصلينا الظهر منزوين عند أحد الأركان، وبعد انتهاء الصلاة قررنا الانطلاق إلى مكتبة الإسكندرية وهناك حدث ما يجعلني أتوقف عن الحديث عن ذلك الشلال المنهمر من الذكريات، فقط سأذكر أن كريم أجهش بالبكاء عند رؤيته لمجسم حقيقي للمزولة الشمسية التي كانت ساعة نهارية يحددون بها أوقات الصلاة، وذلك حزنا على ما كان يتفتق عنه الذهن

العربي قديما وأصبح مؤونة لعصور النهضة الأوربية وما يعيشه العرب حاليا كمستهلكين على هامش واقع الإنتاج العالمي، لكن لا عليك ي ا كريم، ألا إن نصر الله قريب...

***

ولكن يظل السؤال الذي يطرح نفسه على ساحة السجال الفكري بيني وبينك يا صديقي هو كيف نرى أنفسنا أنا وأنت؟ فأنا شاعر له دواوين منشورة وإن لم يسمع بها أحد وأنت تخوض معترك الحياة كحاصل على شهادة في السياسة، فمن هم الذين نراهم قدوة لنا في مسارنا المكتوب علينا؟ آه، أراك تقول بأنني أشبه شاعر الصعلكة الجاهلي «تأبط شرا»، بينما أنت تتخذ منحى وكأنك السلطان المملوكي «كتبغا»، ليس كصاحب دور قيادي، ولكن لظروف التشابه بين اسمه وبين أفعالك التي تجعل من المناسب مناداتك بـ«قد بغى»... فالبعض يريد دحر أي بارقة أمل لديك للمشاركة في الحياة السياسية نظرا لعامل التقرير النفسي والذهني من القوات المسلحة

الذي يفيد بوجود تاريخ مرضي لديك بالفصام وإن كانت الحالة مستقرة، بمعنى خلوك بالقدر الكافي لأداء المهام كشرط للعضوية مثلا في المجالس النيابية وسيكون ذلك فرصة لهم للاطلاع على إقرار الذمة المالية الخاص بك مما يؤهلهم لمعرفة حصيلة ما جمعته من ثروة إذا ما صرت يوما في قبضتهم كغنيمة لهم ولأولادهم، أولئك الذين لا تستطيع حتى الآن التعرف على أوجه الاستفادة من محاولاتهم في استكناه المجهول من مستقبل جماعتهم الإرهابية البعيد قبل المنظور، ولكن ذلك مبلغهم من العلم، ولكم توعدوا الأطراف الأخرى بالويل والثبور حتى لو صار كل واحد منهم لامرأة بعلا وكان له منها ذرية يعول، ولذا لا داع لمزيد تهافت كأنه رجم بالغيب كذاك الذي يرتسم حولنا ككتاب؛ أنت كروائي ساذج وأنا كشاعر حساس...

أجل! إنه تهافت، فهل تجدى الكتابة نفعا في هذا العالم؟ لقد ذكرت يا كريم في مطلع الرواية أنك تهديها

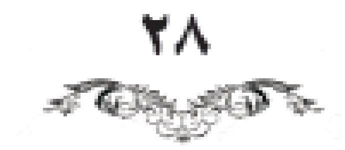
لفتاة كألف رجل، هذه الفتاة التي أخبرتها في بداية التعارف أنها بروحها المتعاونة تعد كعامل مساعد يحفزك على الإسراع في دخول عالم الكتابة، فأنت من المؤمنين بمقولة: «إما أن تعيش الحياة وإما أن تكتب عنها»، ولقد جعلتك هذه الفتاة إن جاز التعبير تنال الحسنيين كلتيهما لا إحداهما فقط، فلقد عشت معها حبا موفورا تقول بأن له ثمرة هي التعفف حيث إن الخطب الجاري هو أن أمر الباءة ليس بميسور... ولذلك ترى أن الكتابة فيها ملهاة عن المأساة التي تضاهي مأساة الحلاج وكثير من شعراء الصوفية المجهولين الذين لم نحصل لهم على أي أثر ضمن الأخبار التي بين أيدينا الآن، ولكن لا مناص من كل ذلك كصورة من صور رحلة الحياة على هذه الأرض، فهي كـ«سابينا» التي أهديت إليها «كارجو»، والتي قالت لك ذات مرة محتدة: «أنت لست من أولوياتي»، وذلك جعل الناس يتعاملون معك على أنك مجرد رأي وأنها قرار بالإجماع ذلك لأنه وللناس فيما يعشقون مذاهب...

وهذا يجعلك تثير تساؤلا من العيار الثقيل وهو أليس من الأحرى بما فيه الكفاية إذا كانت أقدارنا ب الأمر المحدد سلفا أن يسترعي ذلك ولو من قبيل الصدفة امتزاج جسديكما بالعطر خطير النوايا؟؟ ولكن كم سيحتاج ذلك من تكلفة فعلية قياسا على واقعك المعاصر يا كريم أفندي؟؟ إذا فلنعود أدراجنا إلى موضوعنا الأساسي والذي فيه تطلع للتخلص من الأعباء البعيدة كل البعد عن جهودنا الرامية لسد أي نقيصة وردع أي جزئية دخيلة بما إن سعيكم لشتى...

فما الداعي إذا للإيمان بمقولة: «من علمني حرفا صرت له عبدا»؟ إذ من الأولى القول: «من علمني حرفا صرت له ندا أو ضدا»، وذلك ليس من باب خالف تعرف، ولكن لأن كثيرا ما يصبح مبدأ العبادة كمرجعية مطلقة متسببا في محو السيادة، ولأجل ذلك يصبح كل شيء غير ذي بال إلا بعد فوات الأوان مما يسمح بفتح باب «لو» التي تفتح عمل الشيطان، ومع ذكر الشيطان

أراك يا أبراكساس تتقافز أمامي كقرد يتنقل من غصن إلى آخر سعيا لمأوى آمن من سوء عاقبة الوشاية التي تشردك، وعموما لن أنصحك بتوخي قواعد السلامة، فأنت لا تستحقها لما يعتمل بداخلك من سعي للحيد بنا عن صراط الله القويم وكأننا آخذون في التسرب عن الخير عبر أنبوب مستدق...

نعم يا كريم أفندي ءذا حالنا، ما لي هكذا أراك منساقا وراء تلك الانهزامية المتغلغلة فيك حتى جذور روحك؟ ابتسم، فلقد حانت ساعة الحساب التي كنت بكل إعراض تتحاشاها، فكل إنسان ليس منها بمنأى ولا تستر ولا تعتيم، فإن كانت الحياة مازالت حاملة لأحلامك على أكف الراحة إلا أن امتلاكك لحظ عاثر يضعك في حيرة من أمرك دوما وحيطة من لدغات الدهر المباغتة التي قد تجعلك عرضة لإذعان ذليل مما يسفر عن انتكاسة لذكرياتك الآسرة بما لا يحتاج لإثبات... فبين الثابت والمتحول تتكدس كثير من فخاخ مغالطات المنطق



التي تضني عقلية البحث عن حلول حيث اعتبار مقارعة الحجة بالحجة إهدارا للوقت رغم قوله ـ جل في علاه: «وكان الإنسان أكثر شيء جدلا»... فبصورة أو بأخرى يعيش البعض منا في نموذج الشريف الذي سرق، وبالتالي أضحت محاكمته هي محاكمة القرن؛ فمن خلالها سيتبين مدي إحكام تطبيق الحكم الشرعي فيه من حيث الترك أو التنفيذ، فيتم التعامل مع هكذا منهاج وكأنه رهن إشارة أهل الشورى حتى لو كان رأيهم نابعا من هوى متبع وشح مطاع... والبقية تأتي...

***

وإذا كان الأدب مرآة فيها انعكاس لتصاريف الدهر، نرى أن الروائي الأرفع مكانة في تاريخ الأدب العربي وهو نجيب محفوظ قد انقطع عن الكتابة لمدة تزيد عن خمس سنوات، ليس لأنه لم يجد قابلية لدى الناس تؤهله لبلوغ غايته من الكتابة، ولكن لأنه بذات نفسه وذلك بعد ثورة

الضباط الأحرار لم يجد بداخله أي رغبة من الأساس في الكتابة الأدبية، فانطلق لكتابة أكثر من سيناريو متعلق ببضعة أفلام سينمائية، ولأجل ذلك يظل السؤال الذي يؤرقني دوما والذي أطرحه على كريم: «هل ستسمر في الكتابة في عالم يضج بكل ما هو مبتذل وحقير؟» فكان رده: «إن الابتذال والحقارة هما دليل على حاجة المجتمع لكاتب يرتقى بالناس، فإذا لم أستطع الارتقاء به بواسطة الأدب بكافة أشكاله فلنرتقي به بفجيعة الرعب التى تدفع بالمجتمع أن يبيت الوضع فيه مهيئاً لأن يصبح الأدباء مستحقين للتمييز الإيجابي دونا عن الآخرين»... وهنا انفرجت شفتاي بضحكة مسموعة وقلت له: «وهل تظن أن عملية الملاحقة الجارية بيني وبين أبراكساس قد تصيب أحدا بالرعب؟»، فجاء الرد منه خاطفا: «على الأقل إن لم تكن لتثير الرعب لدي أحد فهي لن تثير لديه الغثيان أبدا»، فقمت بالرد من فوري بشعار تشخيص الأمراض الباطنية: «لننتظر ونرى»... وها أنت الآخر يا

كريم يتلاعب بك أبراكساس مسببا لديك حالة من السدة الكتابية وفقدان الشغف لإكمال هذه الرواية المليئة باللغط الزائد عن الحد وكأنك بإصرارك الغريب ستستطيع إحراز أي تقدم في واقعك المزري والذي يجعل منك إذ ربما شاعرا يقرأ له المتلقي وهو ليس بموقف المتفرج ولكن بدافع الشفقة... نعم، إنك لن تستطيع معي يا كريم طوال هذه الرواية سوى تجاذب أطراف الحديث بيني وبينك وقد يدلو أبراكساس بدلوه من حين لآخر على نحو لافت للأنظار، فكن على حذر دوما منه وضع نصب عينيك بيت الشعر القائل: «وما من كاتب إلا سيفنى ويبقي الدهر ما كتبت يداه، فلا تكتب بكفك غير شيء يسرك في القيامة أن تراه»... فذلك قد يخفف من وطأة الحديث عنك إذا ما صرت من ضمن المذكورين في كتاب «أعلام وأقزام في ميزان الإسلام»، والذي قام بتدوينه أحد مشايخ الدعوة الكرام وهو الشيخ الطبيب سيد بن حسين العفاني ـ متعه الله بدوام الصحة والعافية... فمن حيث الشكل



والموضوع وربما المضمون قد نقول بأن الكتاب الذين بين أيديكم يستحق القراءة، لكن هل فعلا كريم يرى أنه قد قام باستيفاء التقنية الفنية التي لا غنى عنها وهي الحبكة على أكمل وجه؟ طبعا ستأتي الإجابة بـ«لا»... ولكنه يقول لكم: «تمهلوا قليلا، فإذا كان فرعون حينما جاءه موسى برسالة الرب القاهر فوق عباده قبل أن يقول: ذروني أقتل موسى، قد قال: ألم نربك فينا وليدا؟ ولبثت فينا من عمرك سنين؟ فأمر الإيمان لدى فرعون كان محل نقاش، ولكن الشيطان جعل قضية التوحيد لديه وبلغة السياسة ليست بمحل اهتمام مشترك، وها هم المصريون رغم اعتناقهم لملة الإسلام مازالوا يدفعون ضريبة مثل هكذا قرار»...

فلتكفكف دموعك يا صديقي ولا تذرف إياها هدرا، فأنت لست بموسى وقراءك ليسوا كالفراعين هزرا، فالجميع يهوى المديح فلا تبخل به على أحد كبرا، فالمعنى مستتر في بطن الشاعر بمبتدأ يتطلب خبرا، فلعلك

استرحت يا أبراكساس بهذه الكلمات مكرا، وإن لم تطو الصفحة معلنا العتاب تآمرا منك وغدرا...

فلقد راعني حقا يا كريم ذلك الحديث الخافت الذي ألقاه أبراكساس على مسامعي وكأنه مناجاة تقديس لطوطم مزعوم، وسأقوم بإبلاغك بما قاله بالحرف الواحد: «يا مندور! إن كريم ومنذ أن نشر روايته «كارجو» مثله مثل ذلك الرجل الذي حسب زوجته قبعة، وقام بدراسة حالته طبيب الأعصاب البريطاني أوليفر ساكس، فكريم يمكن أن نطلق على حالته في ذلك الكتاب أنه الرجل الذي حسب نفسه طائر النهضة»، نعم! طائر النهضة الخرافي ذاك الذي تحدث عنه المعزول مندوب مكتب إرشاد الجماعة الإرهابية في رئاسة الجمهورية بعد نزاع على لقب مسحوب وهو سلطان قانون الوجود، فهي جماعة سولت لها لائحتها التنظيمية أن تكون صاحبة الحقوق الحصرية بأفرعها وتكتلاتها في احتكار لقب الإرهاب على مستوى العالم ذلك وكأنها جهة

الاختصاص الوحيدة المعنية بحمل لواء الدين الإسلامي الحنيف... ولكن يا كريم هل أبراكساس محق في مثل هكذا تشبيه؟ أم أن لك رأيا آخر؟ عموما سأترك لكم أعزائي القراء الحكم عبر قادم أحداث هذه الرواية...

فلقد أكد كريم آنفا بأنه لم ينفد ما في دواته من مداد، ولا ما في جعبته من سهام، ولكن ها هو قد نفدت منه الحيل مرة أخرى لاستكمال هذه الرواية التي تجعل يده مغلولة إلى عنقه والتي يرى أنها يليق بها اسم «الشطط فيما وضعته من خطط»، لا اسم «وراء الحجرات»، وكما قلت وعدت لك يا كريم: «لا عليك، استمر»، فهذه ليست المرة الأولى التى تصبح فيها أحلامك كهشيم تذروه الرياح... ولقد قمت بتأنيبك بكل ملامة حينما ذكرت أن أخوتك والذي كان من ضمنهم الطبيب المحلي كما جاء في روايتك «كارجو» حينما تعاملوا معك بشيء من القسوة من أجل استعادة زمام أمر صحتك النفسية قمت بالتعامل معهم كما تعامل منتظر الزيدي الصحفي

العراقي مع جورج بوش الابن أن رماه بالحذاء، ولكن بوش تمكن من تفاديه بسرعة فائقة وذلك لما طبع عليه من حقارة ولؤم وصغار، ولكن أحدا من أخوتك رغم ما طالهم من أذى لم يعاملك بالمثل، فلم تدر بعد على أي منكم ينطبق بيت الشعر القائل: «وظلم ذوي القربي أشد مضاضة على النفس من وقع الحسام المهند»، وهكذا تم احتواء الموقف بعد أن تحول محل إقامتك إلى مسرح عمليات، وأضحيت مستبصرا بالمرض الذي تعانيه لأنك وكما قالت لك الطبيبة النفسية الشهيرة: «ممل»، وليس هناك من شخص مرفوع عنه القلم تماما إذا ما اختلط الحابل بالنابل قد يمكن له أن يفهم معنى الملل، ربما يفهم معنى الضياع والخواء، لكنه أبدا لن يفهم معنى الملل... لذا وكما قال أحد فرسان القلم مرارا وتكرارا ولكنه يمر عليك مرور الكرام وإن كان بالأمر الجلل ومن الخطورة بمكان: «دع الأيام تفعل ما تشاء وطب نفسا إذا

حكم القضاء»، وقوله أيضا: «كتبت علينا خطى مشيناها، ومن كانت منيته بأرض فلن يموت بأرض سواها»... فلتطلب من الله الوهاب أن يمن عليك بسلطة تباعد بينك وبين نزغ ذلك اللعين أبراكساس سواء فيما تكتبه أو فيما يدور في حياتك اليومية كشخص عليه عدد لا يحصى من الالتزامات بأركانها المادية والمعنوية، فهي كالإيمان أي ما وقر في القلب وصدقه العمل...

***

يا كريم! ها هو أبراكساس يتعالى بصوته في ضحكات شريرة متقطعة منتصرا لذاته بأن قام بعمله الوضيع كبيان عملي للآية الكريمة: «يحرفون الكلم من بعد مواضعه»، فلقد زين لشوقي رشاد أن يقول عن دعوته التبشرية كماسوني أنها تلقب بـ»الصنوية»، وذلك في دس منه للسم في العسل، فالصنوية المقصودة هنا هي نفسها الغنوصية جوهر التعبد عند البناءين الأحرار أو الطبقة المستنيرة عند الماسونية حيث الإيمان بمبدأ أنه: «عقد الخلائق في الإله عقائد وأنا

اعتقدت جميع ما اعتقدوه»... فإلى متى سيظل هذا اللعين متلاعبا بنا؟ لقد أصبحت صورتنا مهتزة أمام الجميع؟ فهل سنقف يا صديقي مكتوفي الأيدي معصوبي العينين؟

ولكن ها أنت منزعج تلقي بآخر أوراقك وهي ليس بالأمر المستغرب أن تكون الورقة الرابحة لتحقيق العلامة الكلامة على كل حال، وتقول: إننا سنستطيع إيقاف أبراكساس وقبيله عند حدهم إذا قمنا بإيقاف الشمس التي تجري لمستقر لها... لكن لا ضير، فاللوح المحفوظ لا يحتاج لتدقيق لغوي، لأن ذا الجلال يملي لهم سبحانه ذا الكيد المتين موهن كيد الكافرين، الذي أمرنا أن يجدوا فينا غلظة حتى لا يرتاب المبطلون الذين يظنون بنا السقم والجنون، ولكننا عن مثل هكذا إدعاءات لمبعدون...

عزيزي القارئ أراك تتساءل: «إلى متى هذه المماطلة في الدخول إلى صلب القالب الروائي؟ فلن ينطلي علينا كقراء مخضرمين أن يرتدي الكاتب مسوح الرهبان وهو صاحب السيرة الغير ناصعة على الإطلاق، فهو وكما ذكر

في «كارجو» بخصوص نظرته لمساس الإناث من بنات حواء حدث ولا حرج ولكن إن الله يعجب من شاب ليس له صبوة... ثم هو كذلك لا يقر بالذنب بل يحيله - كما يشير المثل: رمتني بدائها وانسلت - إلى أشخاص بعينها هي من وحي خياله البائس مثلك أنت يا مندور، ومن قبلك شوقي رشاد، وخلافه وكذلك شخصيات تؤخذ بعين الاعتبار فيما أنتج الآخرون من آداب وفنون، وإن تحروا رشدا؛ حيث العمل بقول الشاعر الفرنسي بول فاليري: ياناثانيل أوصيك بالدقة لا الوضوح»..

لكن بالفعل إخوتي القراء أنا مندور أبو هيبة شخصية من لحم ودم يمكن لكم أن تقابلوها في أي بقعة من بقاع الأرض ولكنكم لن تستطيعوا بتاتا تمييزي عن الآخرين لأنه مثلي مثل رجل الشارع العادي... وإذا كان لكل إنسان نصيبه من الضجر، فإن كريم عبر هذه الرواية سيصل به ـ أي الضجر ـ إلى أبعد مدى ممكن.. كان الله في العون...



هل تتذكر يا كريم ذلك اليوم البعيد بأحواله وساعته البيولوجية كل البعد عن وضعنا الراهن حينما كان لي قصب السبق في اختيار دبلوم المعلمين لأنه كاد المعلم أن يكون رسولا، بينما لم يكن متاحا لك سوى المفاضلة بين شعبتي العلمي علوم والعلمي رياضة أثناء المرحلة الثانوية، ورغم اشتياقك بكل لوعة لدراسة الهندسة كطالب نجيب ينتظر منه الكثير، والذي قضى طفولته في مجال المعمار، وقضى مراهقته كمتدرب على قيادة الحاسب الآلي إلا أن اختيارك وقع على شعبة العلمي علوم عملا بمقولة أحد الأئمة: جملة العلم علمان؛ علم الأبدان، وعلم الأديان، علم الدين وهو الفقه وعلم الدنيا وهو الطب، ولقد تبوأت مكانة مرموقة متوجا بلقب طالب الطب ثم الصيدلة، وأثناء ذلك قمت بارتياد آفاق السلفية كطالب للفقه، لكنك لم يكن لك نصيب في التحصل على شهادة تفيد بإتمامك أي منهما حتى يتسنى لك أن أتموا الحج والعمرة لله، فصرت خالي الوفاض اللهم إلا من

قصة حب تراها كأنها ملاذ آمن لروحك الإنسانية كوقع ندوة تثقيفية غير مسبوقة في مجال التنمية البشرية تجول بك وتجول بها في أرجاء المعمورة كما يدور النيزك محلقا في الفضاء منتظرا تحلله عبر تقنية الانتقال الآني إلى مكوناته الأولية كغبار كوني، فلتضع خاتم محبتها على قلبك يا كريم، فالحب بالفعل دائما وأبدا أقوى من الموت.. وها أنت قد امتثلت لمقولة الإمام علي ـ كرم الله وجهه: «إذا هبت رياحك فاغتنمها»... ولكن ماذا لو ظلت الرياح في سبات؟ ألن تحرك ساكنا؟ إن الدنيا تؤخذ غلابا، فلا يفل الحديد إلا الحديد... فلا تحسبن المجد تمرا أنت آكله، لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبر... وذلك لأن منسوب طاقة الخيال الجامح لديك لا محالة دائم التجدد ولن يضمحل بعون الخلاق ما برح في العمر بقية...

متلازمة منتصف الطريق

كم مرة ذكرني المؤلف هو وصديقه بسوء عبر سطور هذه الرواية، فمرة يتم وصفي باللعين، وتارة بالمارد نذير الشؤم، ولكن عليك أن تتذكر يا كريم أنه وحينما تم فصلك كمتذيل للترتيب من كلية الصيدلة بدمنهور والتي تعد ما قضيته كطالب فيها فترة انتقالية ما بين الجد والهزل، فبعدما طفح الكيل لدى أسرتك وجماعة الرفاق من حولك وضاقوا بك ذرعا سواء وجها لوجه أو في العالم الافتراضي باستنفاد مرات رسوبك تم إلى جانب توقيع الكشف الطب-نفسي عليك أن جيء بأحد الشيوخ

المعالجين بالقرآن ليكون بصدد إخراج الجان من داخلك، ولقد ذكرت في روايتك «كارجو» أنهم لم يجدوا بداخلك أحدا سوى ذاتك الأبية التي أخذت بالتلاعب بهم، لكن يا كريم إنني كأبراكساس كنت حقا متواجدا بكل كياني في ركن حصين بالحجرة متابعا عن كثب لما يجرى وإن لم يسمع لحضرتي عزيف ولا لتنقلاتي أطيط، اللهم إلا أن المعالج الروحاني رآني على حين غرة فقال لك بعلو صوته: «وهل يخفى القمر؟ فرب ضارة نافعة، فأنت قد يتم إيداعك بمصحة عقلية برقم تسلسلي، ولكنك ستخرج منها ليتم حصولك بموجب القانون على رقم إيداع لـمصنف أدبي، المهم أن تسعى لإكمال تعليمك، وما ذلك على الله بعزيز»، ومن هنا ظهر لديك بوضوح ما يعرف بـ»متلازمة منتصف الطريق» المختلفة تماما عن أزمة منتصف العمر، وإن لمن الواجب تسليط الضوء عليها كعقبة كؤود أمام بعض الأشخاص ذوي النفس القصير في تعاملهم مع ضغوطات الحياة... فالتخبط في

هذه المرحلة يكون في حقيقة الأمر مؤلما إلا أنه مطلوب بما يقلل من احتمالية البكاء على اللبن المسكوب... ففي الشعر العربي القديم والذي منه تلك القصائد المكتوبة بماء الذهب والموضوعة على أستار الكعبة قبل مجيء الإسلام والمسماة بالمعلقات تم تناول موضوعات مثل مناجاة الصاحب، والوقوف على الأطلال... وها أنت يا كريم أفندي كما يطلق عليك مندور كنت تبحث إن أمكن عن ذلك الصاحب الصدوق الذي قد يمد لك يد العون في محنتك، ولكنك لم تجد إلا الأطلال لتقف عليها مرتهنا تنهنه دمع مقلتيك أيها الباكي... ثم جاءك عوض الله كشخص له تعب بـالرفت الطبي من الخدمة العسكرية بدرجة أخلاق قدوة حسنة لتندمل الجروح وإن لم تصر كسيرتها الأولى، فيصبح بينك وبين إكمال تعليمك الحكومي المجاني مسافة كنت تظنها كبعد المشرقين إلا أنها كرمية بحجر... فبات الوضع على ما يرام في ملكوت الكريم الذي لا يضام... وإذا كان خير

الكلام ما قل ودل، فإنني أراك يا كريم تبرأ إلى الله من هؤلاء آكلي الجيفة كسياسة لملء البطون وهم يعيشون في مسلاخ أناس يتطهرون ويرون الرزق في أنهم يكذبون ثم يتساءلون ما لكم لا تناصرون... ففي سياق متصل وعلى نطاق متسع لكان ولا يزال هناك حرية للاختيار ما بين الصبر الجميل أو خوض حياة علب الليل كشخص قائم بذاته وسط عالمين متناقضين ما بين التناصح والإخاء أو الانحدار لمرتع خصب للرذيلة والبغاء... وإلى الآن أنت قد لا تكون على دراية كاملة بمدى حجم المجازفة التي قمت بها بقطعك عهد الحياة بإخلاص مع مجموعة من البائسين البلهاء بما يستدعي القول إنه على الدنيا العفاء...

***

وعموما يا كريم أفندي، إنني إذ أنهال عليك بذلك الوابل من عبارات الشكر لإتاحتك هذه الفرصة من أجل السعي مني للتعبير عن نفسي كمارد مخلوق من مارج من نار يمتاز التابعون له بأنهم مردوا على النفاق، أي أنك

منهم كالمستجير من الرمضاء بالنار ترغيبا عن التقيد بحذافير النص والانصياع لمقص الرقيب... فهنا لن نعيد اختراع العجلة، فعلى رأس المصابين بالفصام والذين اعتبروه سببا غير مقنع لأن يراودهم اليأس عالم الاقتصاد الأمريكي الحائز على جائزة نوبل جون ناش والذي قال في إحدى حواراته بأنه لولا الفصام ما وصل إلى ما حققه، إذ كان سيقضي حياته مثل الملايين من الناس الذين لا يعرفهم أحد، وإذا كان مؤسس التحليل النفسي سيجموند فرويد يقول بأنه حيثما ذهبت وجدت أن شاعرا سبقني وذلك في سعيه الدؤوب لتفسير مبدأ اللذة فإنني أقول لك ختاما لحديثي إليك بأن حياتك تسير وفق بيت الشعر القائل: يطير الحمام، يحط الحمام، مثل ذلك الرجل الذي دل ابنه على قبره فأعجبه ونام ركونا إلى عشوائية وعبثية اللاشيء دونما وداع... فطعم الموت في أمر حقير كطعم الموت في أمر عظيم، وما حك جلدك مثل ظفرك، فتول أنت جميع أمرك...

العبرة بالخواتيم

للوهلة الأولى قد يظن البعض أن كريم ومندور هما من الرجال الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه رغم انغماسهم بكل مصداقية في الإشكالية المنهجية للتعامل مع العلاقة بين الدين والسياسة؛ هل هي علاقة اتصال أم انفصال؟ دعوني إذا أنا فلان الفلاني الذي لن يفصح عن هويته الحقيقية، فلتنادوني إذا باسمي الحركي فكري أبو غلاب... فمن هذا المنبر وبمقتضى التفويض الممنوح من أخوية الصليب الوردي أحد الشعب الرئيسية لمحاكاة

الطبقة المستنيرة والتي قامت طوال تاريخها الممتد منذ القرون الوسطى بتنفيذ العديد من عمليات الاغتيال التي ترى فيها خيرا للبشرية بما فيه الحفظ لتعاليم الأخوية السرية بما يتوافق وروح العصر المتمثلة في حركة اجتماعية تصف نفسها بأنها منظمة دعم الاستدامة مما يجعلها على جانب وقدره من الأهمية، وهي حركة زايتجايست الغير هادفة للربح بقدر ما تسعى لتغيير نمط الحياة الاقتصادي والاستهلاكي على سطح الأرض، ولقد كان من المستهدفين للانضمام للأخوية كريم بعد التحاقه بالطب وصديقه مندور أبو هيبة كنظير مقرب منه بالإضافة لبعض الصبايا من دول الجوار وكنت أنا الكادر المعني بتجنيدهم وذلك عبر تتبع محتوياتهم التفاعلية على الإنترنت، فكريم مثلا تم رصده عبر منتدى كلية الطب حينما قام بالتعليق على موضوع نشره أحد الزملاء: «إنني حقا أشعر بالضياع، وكأنه لم يعد ينطبق علي ما يسري على الباقين»، فكان ذلك وكأنه إيذان منه بالتصريح عن

دخوله في حالة اغتراب مما يشير إلى تآكل مضمون التربية على المواطنة لديه، لكن رغم صيرورة الأمر في مصر المنعوتة أبد الدهر بالكنانة المحروسة بما يمنع استئناف نشاطنا وجدول أعمالنا في الوقت الراهن سترون عبر قادم السطور هل جرت المهمة على الوجه الأمثل أم لا؟

***

فدون إبطاء ولا كلل ولا ملل نقول بأنه من المتعارف عليه أن خير جليس في الزمان كتاب، ولأن المواطن المصري مولود وعلى صدره بردية تقول بأن السخرية فيها نجاة من اليأس فلقد اجتمع كريم ومندور على حب الكاتب الساخر محمود السعدني، أحدهما اهتم بكتاب «ملاعيب الولد الشقي» كشخص حياته على المحك، والآخر اهتم بكتاب «مسافر على الرصيف» كشخص حياته على صفيح ساخن، وكان ذلك مدخلا لهما للانكباب على التهريج المنظم الذي انقلب بفعل فاعل إلى تهريج ممجوج غير مقبول اجتماعيا، ولكنهما ارتأيا

فيه نوعا من الحراك المكوكي للخلاص من اللعب على الوتر الحساس الذي يثقل كاهليهما كنوع من التجلي الآخر للذات... ففي القرآن: «كل امرئ بما كسب رهين»، وفي السنة: «لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب خرب لدخلتموه»، فهنا يكون التشابه بين حياة هذين الشابين وحياة الكافرين ليس في عدم الإيمان ولكن في الانسياق وراء الشهوات والمعاصي، ولكن ذلك لا يجعلهم بمنأي من قوله سبحانه وتعالى: «هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون»... وتلك كانت مهمتي أن يبتلعا الطعم، وينطلي الزور عليهم... ولقد تم ذلك رويدا رويدا وبكل تؤدة...

***

فباعتبار أنه موضوع على مدخل مشرحة كلية الطب لافتة تقول باللاتينية: «الموتى يعلمون الأحياء»، وكان كريم الطالب المقيد حديثا في الكلية قد فاتته حصة

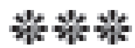
عملية في التشريح فحضرها معنا نحن الطلاب الأجانب، فتم التعارف بيني وبينه في قاعة التشريح، سألته عن رأيه في رغبة أهل جنوب السودان في الانفصال، فكان رده: «وهل هي قريبة من درافور؟» فجاء ردي: «لا طبعا هذا إقليم وذاك إقليم آخر»... فحدثني عن صديقه مندور أبو هيبة الذي كان مسئولا في مرحلة المراهقة عن جمع التبرعات الإغاثية لأهالي دارفور، وأضاف: «يبدو أن الوضع ليس كما ينبغي في الأراضي السودانية على أية حال بسبب رغبة أهل الجنوب في الانفصال»... فسألته: «هل كان لك أي نشاط سياسي من قريب أو بعيد؟» فجاء رده: «كنت أعمل في أحد مقاهي الإنترنت وقد جاءني أحد الأساتذة من شيوخ الدعوة السلفية لنسخ إسطوانة تحذر من المد الشيعي وحزب الله، وذلك أثناء الحرب مع إسرائيل، وتم التعرض لتشابه الفكر الإخواني مع فكر هذه الجماعات التي يقال لها مارقة من الدين كما يمرق السهم من الرمية»... فأعجبني تناوله للموضوع وقمت

بتسليمه بطاقتي دعوة لندوة هناك في مركز الجزويت الثقافي الواقع في حي سيدي جابر وأكدت عليه أن يأتي بمندور معه... فقام كريم بإبلاغ مندور بالعرض، وأراه بطاقتي الدعوة، فجاء رد مندور: «نادي الجزويت يا كريم!!! أتعلم تاريخهم؟؟ ولن ترضى عنك اليهود والنصارى حتى تتبع ملتهم يا أفندي»، فطوعت لكريم نفسه أن يقول: «ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا يا أخي»، فباغته مندور بالرد: «أتنسى حينما عاتب جناب مولانا النبي الفاروق عمر حينما دخل عليه بصحيفة فيها نسخ بالعربية من التوراة؟»، فلم يحر كريم جوابا وجاء إلى قاعة الجزويت بمفرده...

***

أخبرت كريم أنني كنت في انتظاره على أحر من الجمر، وكان معي في استقباله آنستان باهرتا الجمال هما الأمريكية أولجا ماكيندر حفيدة أحد ضحايا حادثة الحادي عشر من سبتمبر، بالإضافة إلى الغانية اليهودية

من أصل إيطالي كلوديا كاردوزو... سألته: «أين مندور؟ فأولجا لك وكلوديا له»... فكان الرد منه: «إن مندور يمر بظرف عصيب، فلم يستطع اللحاق بالموعد، لكن هل لا بد من اصطحاب النساء؟ إننا في مكان له قدسيته، ومن غير اللائق أن تظهر فيه النسوة بهذا السفور»... فرمقته بنظرة ثاقبة وقلت له: «لا علم للقائمين على المكان بما يجري هنا، إننا قمنا باستئجار تلك القاعة لغرض سري، فهاتان الفتاتان دخلتا في زي الراهبات، ثم صارتا إلى ما هما عليه الآن، المهم لا عليك... هل أعجبتك أولجا؟»، فتضرج خداه وقال: «لدي زميلات في الكلية أجمل من أولجا وكذلك كلوديا، ولكن عموما سأقوم بمرافقتهما معا لأنني أرغب في تقوية لغتي الإنجليزية بالمحادثة في شئون دقيقة، وليس هناك أدق من شئون النساء»... وهكذا تم السيطرة على الموقف وإن كان في مغيب مندور بعبارة: «وهو كذلك»...





انطلقت صافرة بداية الندوة وأولجا عن يمين كريم وكلوديا على يساره بحديث ذي شجن نحو مجتمع خالي من التعصب والتطرف كهدف موضوع نصب أعين الأخوية لتفكيك مفهموم الهيمنة والتبعية، وتم الإشارة إلى وجود جماعة فلسفية عربية كان لها نفس ذات الغاية وهي جماعة «إخوان الصفا وخلان الوفا»... وعند هذه النقطة بالذات شمر كريم عن ساعده متحفزا لتشرب المحتوى المعروض، فهذا ما كان يحلم به منذ الصغر، أن يجد حركة دينية ذات اتجاه صعودي بصدى عالمي، فهذه الجماعة بدأت بالرياضيات التي تفسر الفيزياء والتي بدورها تفسر الكيمياء والتي بدورها تفسر الأحياء، وهلم جرا... ثم جاء دور الحديث عن رحلة الأنثى ما بين التقديس والتدنيس، وهنا نظر كريم عن يمينه فوجد أولجا وتردد بداخله صوت يقول: «حقا إنها تشبه الفيلسوفة هيباتيا بما يمهد لتقديس الأنثى بكل شمم ونخوة»، وعن يساره نظر إلى كلوديا فقال: «يا إلهي إن ما تثيره تلك البنية

هو دفع الرجال لتدنيس الأنثى وكأنها مكب للنفايات ليس لتهتكها ولكن لحالة الذلة والضعة المطبوعة على تكوينها الجسماني»... وحينها نظرت إليه كلوديا بنظرة كلها استغراب مشوب بدهشة، وكان رد فعله أن انكمش على نفسه متوقعا سؤالا محيرا قد تلقيه دون مواربة أوسباحة ضد التيار: «هل تريد مشاركتي الفراش؟»، فجاء رده على وجه السرعة: «لا أشارك أحدا الفراش، اللهم إلا زوجتي، هذا إن تزوجت من الأساس»، فغمزت كلوديا لأولجا وقالت: «يبدو أن لدينا أحد الرهبان هنا»، فأمنت أولجا بالقول: «على ما أعتقد أن لا رهبانية في الإسلام، وعموما حتى الراهب في رواية «الأم» لجراتسيا ديليدا وقع في غرام إحداهن، وقام بمضاجعتها، وأنت يا كريم أفندي تفوت هذا العرض من فتاة مثل كلوديا»، فانكمش كريم على نفسه مرة أخرى وقال موبخا كلتيهما: «يا لائمي في الهوى العذري معذرة مني إليك ولو أنصفت لم تلم»، ثم هم بالانصراف، فاستوقفته عند باب القاعة وقلت له: «لقد

كن يمزحن معك، وعلى العموم لا تنس المرة القادمة أن تأتي بمندور»، ثم أسلمته بطاقتي دعوة لندوة هناك في مختبر السرديات بمركز المؤتمرات الملحق بمكتبة الإسكندرية، حيث تعقد كل ثلاثاء ندوة لتشارك وجهات النظر حول المسار الإبداعي في مصر والوطن العربي وكذلك آخر المستجدات الأدبية العالمية...

***

ولأن كريم قد غاص في مقعده منذ اليوم الأول له في دراسته الطبية التي لا يفهم منها شيئا، فكان من المتوقع أن يتناسى أمر ندوة مختبر السرديات، فذهبت إليه في مجموعته الدراسية التي تجمعه وعماد نصار المذكور في كارجو، وقد كان في معمل الهيستولوجي يعاين شريحة لإحدى الأنسجة تحت الميكروسكوب الضوئي فقمت بضغط زر إغلاق الضوء وواجهته بالسؤال الأكثر إلحاحا: «لماذا لم تأت لمختبر السرديات؟»، فأشاح بوجهه عني، ونادى على عماد متسائلا عن مدى التكبير المطلوب

لرؤية العينة الواقعة تحت العدسات المجهرية، وأمرني بمغادرة المعمل، فقال له عماد: «أتنادي عليّ ثم تأمرني بالمغادرة هكذا؟!»، فكان رد كريم: «إنني لا أقصدك ولكني أقصد ذلك الزميل الأجنبي السمج»، فجاء رد عماد: «لا أحد سوانا في المعمل يا أفندي»...

بالطبع أصبح هناك دافع لأن تقولوا بأنني شخصية خيالية تتراءى للكاتب من حين إلى آخر... لكن ماذا لو كان عماد متأمرا معي للكيد ضد كريم كريم وقواه العقلية؟؟ ذلك ما سنكتشفه عبر قادم السطور، فلقد أصر كريم على أن عماد يتلاعب بأعصابه على سبيل المزاح، فقام بالرد: «على خيرة الله يا أبو غلاب، سأكون هناك الأسبوع المقبل، ولن أنسى الإتيان بمندور معي»...

***

حضر الشابان كريم ومندور إلى مختبر السرديات ونحن على وشك البدء بشرح المادة العلمية التي يلقيها

أحد أساتذة الأدب المقارن... ومن الجدير بالذكر أن نقول بأنه في تلك الأثناء كان المجتمع المصري يعج بكثير من الخطابات الصدامية وعلى رأسها المعارضون لتوريث الحكم متمثلين في حركة كفاية، وهنا قال المحاضر: «أتعلمون يا شباب أن كلمة كفاية تقال عند الاستحسان، وليس للمعارضة كما يعتمل في ذهن هؤلاء الخارجين عن القانون، لكننا سنوفر عليهم كثيرا من الوقت بالحديث عن رواية «حفلة التيس» لماريو بارجاس يوسا وهي شبيهة برواية «يوم قتل الزعيم» لنجيب محفوظ، ولكن شتان بين هذا وذاك، فلا مجال للمقارنة بين الزعيم المؤمن أنور السادات صاحب المتحف الموجود في أحد قاعات المكتبة، وذلك القذارة الحية الجنرال تروخيو الذي أنزل بشعبه سوء العذاب، هذه الرواية «حفلة التيس» تتحدث عن تروخيو الذي أكمل ثلاثين عاما في السلطة مثله مثل حسني مبارك، وقد ظن كليهما أن لن يقدر عليهما أحد، لكن يشاء القدر دوما أن يكون هناك درع وسيف يتكاتف

الشعب صاحب السلطة الأصلية حولهما، وهما الجيش وبعض القيادات الشعبية المخلصة، عموما سأعطي لكم الفرصة لقراءة الروايتين، ومن ثم نبدأ في المناقشة الفعلية في ورشة العمل القادمة»....

***

انبهر الصديقان بالروايتين ولقد اعتبر كريم رواية «حفلة التيس» على أنها قمة الإبداع الأدبي ولأجل ذلك لم يندهش حينما حصل مؤلفها على جائزة نوبل للآداب فيما بعد... بينما استغرق مندور في تحليل رواية «يوم قتل الزعيم»، التي حصل مؤلفها والشخصية المحورية فيها على نوبل أيضا....

وتمت المناقشة على لسان المحاضر كالتالي: «فكيف إذا نتغمس في ضجة ليس لها معنى تنال من أوطاننا تحت أي بند كان، ففي هذه الآونة اشتهر كتاب مجهول المؤلف يتحدث عن الفكر الجهادي ولكن بمنظور فكري قبل أن

يكون فقهي؛ بمعنى أن ذلك الكتاب المعنون بـ: «الفريضة الغائبة بين السلطة الزمنية والسلطة الروحية؛ تأرجح مفهوم الجهاد ما بين العالمية والعولمة»، هذا الكتاب يستفيض في الحديث عن اختراق المخابرات الأجنبية وخصوصا الأمريكية لجماعات الجهاد من أجل تفكيك الجيوش القومية، وبث الفوضى، رغم أن العالم يحتاج إلى الجهاد الأكبر وهو جهاد النفس، وليس جهاد السيف، فنحن في حاجة إلى موعظة حسنة وليس إلى الاقتتال بين أبناء المجتمع الواحد، لكن هذه هي ضريبة حرية التعبير والانضباط الكامل لجيوشنا العربية النظامية التي تخوض أشد الحروب شراسة وهي حروب الجيل الرابع وكأن الإصلاح لابد أن يكمن في استعمار الأستاذية التي دعا إليها أحدهم»...

وهنا قرر كريم ومندور الانسحاب من الندوة لأن المحاضر شرع في اقتحام منطقة شائكة ينبغي عدم

الحديث فيها أو عنها إلا بموافقة جهات سيادية عليا ليس بمقدورهما حتى الهمس بأسماءها....

***

بعد الخروج من القاعة وجد كريم أولجا وكلوديا في انتظاره هو ومندور، فقام بتعريفهما على مندور الذي سال لعابه لمرأى كلوديا، فاستعرت نار الحب بداخله من أول نظرة رغم أنه يضع نصبه عينيه دوما: «إن كيدكن عظيم»... وسار الأربعة على غير هدى بطول الكورنيش من الغرب إلى الشرق حتى وصلوا لمنطقة سان ستيفانو، وهناك دخلوا كافيه ستاربكس وطلب كل منهم مشروب يروي به ظمأه، متبعين تعليمات القائمين على المكان، وقام مندور مشكورا بتسديد الفاتورة، ورحل هو وكريم إلى الشقة التي قاما باستئجارها، وفي ذهن كل منهما سؤال واحد: «كيف يمكن الدخول بهاتين الفتاتين من باب العمارة حتى الدور الثامن الذي يسكنان فيه دونما أي مشاكل مع سكان العمارة ومن قبلهم البواب؟»، وقد

جاء الجواب بسيطا برنة هاتف مني أنا فكري أبو غلاب لمندور لأن كريم لا يحبذ هذه المواضيع ولا يأخذها بجدية وهو أن يقوما بحجز أربع غرف في فندق ما ومن ثم يدخل أي منهما إلى غرفة الآخر... ولقد كاد الأمر أن يتم على هذا النحو المشين... وكنت أنا القائم بالتأكيد على هذا الحجز من خلال الدفع ببطاقتي الائتمانية، لأن ذلك سيفتح الباب على مصراعيه للوقيعة بين الشابين والفتاتين، وأن يصيروا محط سخرية لدى الجميع، وهذا ما استهدفه كمربط للفرس لدي أنا فكري أبو غلاب ومن بعدي الطوفان...

فكريم مثلا ذلك الشاب اليافع الراغب في التحصل على بكالوريوس الطب والجراحة والذي يجد صعوبة في الإلمام بالمواد الدراسية انطلق في سعي منه لتوسيع مداركه العلمية، فاشترك في دورات للتنمية البشرية، وكان صاحب اليد الطولى في هذا المجال هو الدكتور إبراهيم الفقي، ولكن كريم أصابته الدهشة حينما قرأ بأنه حاصل

على دكتوراه في الميتافيزيقا، وهو ـ أي كريم ـ لا يعلم شيئا عن الميتافيزيقا تلك، فقام بسؤال مندور عنها، فأخبره مندور أنه قرأ عن شيء يدور حول فكرة الإسهامات الميتافيزيقية في السياسة، أي أن يتخيل الفرد وطنا موازيا لوطنه الحقيقي يعيش فيه ويحقق أحلامه التي لا يستطيع تحقيقها في الواقع المعاش... وهذا ما زاد الطين بلة لدى كريم الذي يهرب من الحديث في السياسة، فهو يريد الانسلاخ من حالة التردي الرهيب الذي حل بقدرته على تحصيل العلم، لأنه ليس للإنسان إلا ما سعى... وهذا ما يريده مندور أيضا وبكل إصرار...

وعموما فقد جاء جواب الفتاتين على فكرة استئجار الغرف بالرفض، فمهما كان هن لسنا متاعا لدي أنا فكري أبو غلاب يمكن أن يباع ويشتري... فهذا ضرب من الخيال... وذلك لأنه كلوديا كثيرا ما ساورها الشك في شخصيتي وقد أخبرت أولجا بذلك رغم كونهما من أصحاب الباع الطويل في حياة الخلاعة والمجون...



كان كريم وحده بالشقة التي غادرها مندور لقضاء بعض شئونه، ومن ثم انتفض من فراشه مذعورا للطرقات على باب الشقة، إذ ربما تكون وهذا على غير المألوف حملة تفتيشية من المباحث، وقد كان الأمر كما توقع، فلقد حدث تفجير إرهابي عند كنيسة القديسين القريبة من محل السكن، ولا بد من جمع البطاقات الشخصية للسكان، وتم الكشف على بطاقة كريم الذي غمره التعاطف مع الأخوة المسيحيين، وتبين أن سجله خالى من أي نشاط سواء سياسي أو جنائي، وسألوه عن شركائه في السكن فأخبرهم عن مندور، فاستعلموا عن موعد عودته، فأجابهم بأن ذلك في علم الغيب، فأملوا عليه رقم هاتف يكتسي صبغة حكومية وأكدوا عليه أن يدلي بأية معلومات قد تستجد على الساحة من أجل الوقوف على ملابسات التفجير والقائمين بمثل هكذا عمل إجرامي، فأومأ كريم بالإيجاب وهو لا يدري بأي شيء يمكن أن يفيد هؤلاء؟ فهو من الكلية للسكن، ومن السكن

للكلية، اللهم إلا بعض المشاركات في الأنشطة الطلابية الرسمية...

وحين عاد مندور أعطاه رقم الهاتف وطلب منه الاتصال بفرد الأمن المسئول، وقد جاء موقف مندور عبر الاتصال سليما هو الآخر رغم كون كريم ومندور على أحر من الجمر من أجل معرفة الجاني الذي أفسد على شركاء الوطن فرحتهم بعيد الميلاد المجيد... ولم يكونوا يعلمون بأن ذلك سيصير تمهيدا لحدث مفاجئ سينقلب بسببه الشأن الداخلي للبلاد رأسا على عقب، ولكن كريم قطع على نفسه عهدا هو ومندور بأن يهتما بالدراسة وبالامتحانات، وحين نزل الجيش يوم جمعة الغضب إلى الساحات بعث ذلك على الاطمئنان في نفوس الشعب المصري وعلى رأسهم الشابين اللذين يريا الوطن على مفترق طرق، وجاءت الإجابة من الجيش المصري العريق بأنه على أتم الاستعداد للذود عن الوطن

ضد أهل الشر وهذا ما تحقق عبر الموجة الثانية للحرية والعبور وهي ثورة الثلاثين من يونيو، ويدعي البعض بأنها ثورة مفتعلة على نقيض ثورة يناير، لكن من قال بأن ثورة كثورة يناير على رغم انتصارها وسمو أهدافها قد ينتفى عنها صفة الإرهاب؟ فالثورة الفرنسية برونقها أبدعت صنفا جديدا من الإرهاب لم يكن معروفا من قبل، ورغم وصول الثوار للسلطة إلا أن الوصم بالإرهاب لم يفارقهم، وهذا ما دفع الجيش المصري كما سبق ذكره للوقوف ضد هؤلاء المخربين دفاعا عن مكتسبات ومقدرات وطن هو ملتقى حضارات العالم القديم والجديد...

ويوم تم الإطاحة بمندوب الإخوان في رئاسة الجمهورية التقى كريم بكلوديا على سبيل الصدفة، ويا للمفارقة!! فلقد قاما بطرح أسئلة لا تفيد معها المقاربة أو المقارنة حول مندور وأولجا، فكريم يشتاق إلى أولجا، وكلوديا تشتاق إلى مندور، فهكذا بعد أن تقطعت سبل

التلاقي بمثل هكذا افتراق دام أكثر من عامين... فها هو قد تم رأب الصدع بينهم، وأصبحوا قاب قوسين أو أدني من لم الشمل مرة أخرى...

***

ولأن بداية الانصياع للمزيج السكندري البديع بين الأصالة المتمثلة في كريم والمعاصرة المتمثلة في مندور كانت هناك عند قلعة قايتباي، فهناك أيضا ستكون النهاية... ففي ذلك اليوم الذي انقشعت فيه غيوم الضغينة، وتعبقت فيه النفوس بالرضا بالرزق المقسوم والأجل المحتوم دون أي ابتئاس بالهموم والغموم انعقد الوصل بينهم، جاء كريم أولا ومعه مندور، ثم جاءت كلوديا تتبعها أولجا في أبهى حلة، وذلك في يوم صيفي مال فيه الجو للبرودة إلى حد ما، وكانت ساحة القلعة وكأنها برج بابل حيث ملتقى السياح من شتى بقاع الأرض وهناك جاءت على غير العادة من أثارت حنقي

لكونها الملاك الحارس للفتاتين أولجا وكلوديا؛ إنها الماليزية زارا حنيف، إذ قامت بالتشويش عما أريد بثه من دسائس ومكائد بين هاذين الشابين وهاتين الفتاتين، لكن على كل حال توصلت إلى ما تم بينهما، وسيتم سرد ذلك على مشهدين، إذ اختلى كريم بأولجا في أحد الأركان، بينما هام مندور بكلوديا عبر جميع الدروب والممرات الموجودة بالقلعة متحدثا إليها بلكنة إيطالية كأنها معزوفة لقيثارية سماوية، وتم ذلك كالتالي...

***

قال كريم لأولجا متحمسا: «ذات يوم كتبت مجموعة من أبيات الشعر الحر وذلك لأول مرة أثناء المرحلة الثانوية؛ كتبت أقول:

ما بين ارتحالي في عالم التيه

وازدواجية الحنين إلى هيولي الجنين

أقول:

هل أنت حقا بداخلي؟

أم أني أتخيلك فأهيم بك؟

أسير في جنبات الأرض مداعبا أحلامي

ولكني لا أجد مثوى سوى أن أبادلك هياما بهيام...

كيف هى الطرقات من أجل انتزاع الشجون؟

دونما إفساد لفرحة أو انتقاص بجنون... »

وهنا استوقفته أولجا التي لا تفهم كلمة مما يقول رغم شعورها بقشعريرة سرت في أوصالها من وقع الكلمات، وقالت له متساءلة: «لكم أعشق العربية، ولكن ماذا تقول عن انصرام الغملة؟»، فبادلها سؤالا بسؤال وقال: «ما هي الغلمة تلك؟»، فقالت: «شدة الرغبة في الجماع»، فسألها: «ولماذا إذا تقولين انصرام الغلمة بدلا من انقضاء الشهوة»، فقالت: «لأنك ساذج لأقصى حد ممكن، إذ تميل إلى التراكيب المعقدة في اللغة»... فسألها: «وما المطلوب مني إذا أيها الجهبذ الأنجلوساكسوني؟»،

فردت عليه بسؤال هي الأخرى وقالت: «ما عليك من شيء، فقط أجبني عن هذا السؤال: ماذا يقول العرب عن التقاء الختانين؟»، فتردد لبرهة ثم قال: «أهذا كل ما يشغل بالك من لغة العرب؟ كنت أظنك أكثر تأدبا من ذلك، لكن اتضح أن كلوديا ذات مكانة أرفع مما تطمحين»... فقالت: «يقول العرب عن ذلك: تذوق العسيلة؛ أي أن نفوذ آلة الرجل في سوءة الأنثى وكأنه بنكهة المن والسلوى التي أنعم الله بها على بني إسرائيل»... وهنا تميز كريم من الغيظ وانفعل على أولجا قائلا لها: «إليك عني، فأنا لا أتحدث عن هذه الأمور بهذه الطريقة خاصة مع فتاة أكن لها كل مودة واحترام مثلك»، فقالت له: «لا عليك يا كريم، إنما أقول لك ذلك من باب العلم بالشيء عساك تجد فيه سلوى عن فقدانك من فارقت من الأحبة، عموما لنتحدث بجدية؛ لماذا لم ترتبط شرعيا حتى الآن؟»، فأجابها: «لأنني فقير مجهول المصير»، وهنا اغرورقت عيناها بالدموع وقالت: «أعلم ذلك يا صديقي،

لكن ما عليك سوى التمسك بما تربيت عليه من قيم والله المعين... وللضرورة القصوى سأطبع على جبينك قبلة لعلني لا أراك مرة أخرى بعد لقائي هذا»... ثم قامت بطلب كلوديا على الهاتف النقال والتي كان يدور اللقاء الحميمي بينها وبين مندور كالتالي....

***

سأل مندور كلوديا: «هل قرأت رويات عربية من قبل؟»، فأجابت: «أجل! رواية «شيكاجو» للدكتور علاء الأسواني»، فسألها: «وما الذي جذبك فيها؟»، قالت: «إنها رواية تدور في جو بوليسي تشوبه نزعة دينية في زمن ما بعد الحداثة حيث وجود فتاة آتية من فج عميق بالصحراء لتنعم برغد العيش في مدينة عصرية مكتظة»، فسألها: «ثم ماذا؟»، فكان ردها: «لا أدري، ولكن على العموم هناك شخصية تشبهك، حيث إنه كان متعلقا بفتاة يهودية هو الآخر»، فسألها: «ومن الذي جعلك متأكدة هكذا أنني متعلق بك؟»، فردت متهمكة: «إنها غريزة الأنثي»، وكانت

كلمة غريزة هي المفتاح لمعمعة من القبلات والتأوهات التي انهالت من مندور على كلوديا التي انسحبت من بين يديه معتبرة أن ما يجري إهانة... وأخبرته أن الأمر قد يتطور لطلب أمن القلعة كواقعة تحرش، ولكنها عادت لرشدها واعتدلت في جلستها وقامت بتسوية زواقها ثم باغتته بسؤال كان يؤرهقا: «مندوركيف لي أن أعتنق الإسلام؟»، فجاء رده سريعا: «هذا ما كنت أستشعره ناحيتك، ولكن ماذا عن أبناءك المستقبليين؟ إنهم أبدا لن يمكنهم أن يصبحوا يهودا بعد اعتناقك الإسلام»، فقالت: «هذا قد يجر المشاكل بيني وبين أهلي، ولكني على اقتناع تام ودراية كاملة بأن أمة العرب ذات منزلة فيما يخص السامية أعلى من العبرانيين»... وهنا تناهى إلى مسامعها صوت هاتفها يرن برقم أولجا، فاستأذنت مندور بالرد، ومن ثم غادرته مع وعد فحواه: إن غدا لناظره قريب...

***

إنني أنا فكري أبو غلاب أعلن انهزامي هزيمة ساحقة

أمام هاذين الشابين الذي ما قاما بالتعارف فيما بينهما إلا عملا بقول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم: «رجلان تحابا في الله، اجتمعا عليه وتفرقا عليه»، فإنهما وإن كان جمع بينهما الحب في الله، فإنهما لم يفترقا إلا لغرض مؤقت من شئون الدنيا، فعلى صعيد آخر إذا كان الشيطان يمكن في التفاصيل، فإن هذه التفاصيل بالنسبة إليهما من نافلة القول؛ أي كأن شيئا لم يكن...

كريم العقبي

كريم العقبي هو كاتب وأديب مصري من مواليد محافظة البحيرة عام ١٩٩٢، قضى فترة الثانوية العامة في مدينة ادكو وحصل على مجموع درجات أهله لدراسة الطب والصيدلة لكنه في النهاية التحق بالخدمة العسكرية ومن ثم تخرج في كلية الآداب ـ جامعة دمنهور، وحصل منها على درجة الليسانس في السياسة، وهذه روايته الثانية «وراء الحجرات» التي يعتبرها مذكرة تفسيرية لروايته الأولى «كارجو»، إذ أنه يسعى لأن تكون رواياته دوما على هذا المنوال الذي قد يرهق البعض... لكن دوما الخيرة فيما اختاره الله...



وراء الحجرات

"فصرت خالي الوفاض، اللهم إلا من قصة حب تراها كأنها ملاذ آمن لروحك الإنسانية كوقع ندوة تثقيفية غير مسبوقة في مجال التنمية البشرية تجول بك وتجول بها في أرجاء المعمورة كما يدور النيزك محلقا في الفضاء منتظراً تحلله عبر تقنية الانتقال الآني إلى مكوناته الأولية كغبار كوني، فلتضع خاتم محبتها على قلبك يا كريم، فالحب بالفعل دائما وأبدا أقوى من الموت"

كريم العقبي



